Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

بحوث ودراسات
بإدارة معهد الآداب الشرقية في بيروت
٦

كتاب
الانتصار
والرد على ابن الروندي الملحد
ما قصده به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم

تأليف
أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي
نقله إلى الفرنسية
الدكتور البير نصري نادر

من كتب
بكرطلوبال اوغلو

المطبعة الكاثوليكية - بيروت
١٩٥٧

مقدمة الناشر

لقد تقلّب الدهر بالكتب القديمة تقلُّب لجة البحر بالسفن المشحونة ، والفلك المصنوعة ، فمنها ما بلغ إلى مرساه ومصيره بما يحمله من النفائس والجواهر ، ومنها مـا اشتدّت عليه الأرياح وانقضّت عليه الامواج فغرق بما فيه من البدائع والبواهر ، ومنها ما شتّتت العواصف أوساقه ، وبدّدت القواصف أوزاره ، فقذف بها البحر على السواحل البعيدة ، وألقاها إلى الأرجاء الغريبة ، والتقطها من غير أهلها من تيسر له تناولها ، وهمّه التمتع بها . ومثل هذا الكتاب «كتاب الانتصار والرد على ابن الروندي» كمثل مركب قد أبحر وتزعزع من موج إلى موج حتى غاب عن الأبصار ، ثم طلع بعد زمن طويل ، وسفر بعيد ، في ناحية لم يقصدها ، ونجاه الله إلى أمّة لم يعرفها . فلهذا الكتاب رحلة عجيبة وقصة رائعة نريد أن نحكيها .

كيف وصل الكتاب إلى أيدينا

هو من تركة المعتزلة ، ولا يخفى على عالم أن هذا الصنف من الكتب العربية قلما انتهى إلى هذا العصر ، ذلك لما نزل بمنازله من الإحراق والتدمير ، وصُبّ على رؤوس أصحابه من التقبيح والتكفير . والقليل الباقي منه قد بلغنا عن إحدى طرق ثلاث : منه ما تحنّث عليه الزيدية في اليمن اعتناءً بمذهبهم الذي هو أقرب ما يكون إلى مذهب الاعتزال، ومنه ما ادّخره العلماء رغبةً في الانتفاع بما فيه من علوم شتى مما لا علاقة له بعلم التوحيد، ومنه ما انملق عن أيدي مضايقيه خفية أو صدفة . ويشهد أدنى نظر إلى ظـاهر النسخة المحفوظة في دار الكتب المصرية بأن كتاب الانتصار من الصنف الأخير .

هي نسخة قديمة جداً من آثار الأيام الماضية ، وهي من أقدم ما في أيدينا من المخطوطات التي مادّتها الورق . ذلك أنها فرغ من نسخها سنة ٣٤٧ هـ كما صرح به ناسخها في آخر الكتاب ، ومن المعلوم أن أرقى المخطوطات تاريخاً مما هو مكتوب على الورق لا يتجاوز

أوّل القرن الرابع ؛ فلا تكاد ترى نسخة أقدم من كتاب « غريب الحديث » لأبي عبيد المعروض على الزائرين في مكتبة الجامع الأزهر الذي تم نسخه سنة ٣١١ هـ . ولست أدري ناسخ كتاب الانتصار هذا مَنْ هو ومن أي بلد كان ، غير أن الأشبه عندي أنه كان شامياً ، إذ أن الكتاب كان محفوظاً في الشأم أكثر مدة وجوده كما يظهر . ومما يدل على ذلك وقفيّة قديمة مطموسة فانية كتبت في الصفحة الأولى ، تصرف الدهر بها تصرفه فلم أستطع أن أرتق فتقها وأسدّ خلالها وأشفي جروحها حتى أنقلها هنا حرفاً حرفاً ، وها أنا ذاكر لك ما بان لي من أوّلها فعسى العارف أن يكمله ، وها هو : « هذا مـــا وقفه وتصدّق به الملك المعظم المؤيد المنصور عضد الدين...ملك المغرب(؟) والشأم علاء الدولة وبهاء الملة وتاج الأمة... أدام الله أيامه وخلد ملكه على المنصورة المتحدة (؟) بالجـــامع المعمور في... الموسومة (؟) بالمدرسة الأتابكية المعتمدية الطهرية[1] ... » . فيرشدنا قوله « المدرسة الأتابكية » إلى الشأم إذ كانوا الأتابك هنالك في زمان بني أيوب ، فيجوز أن يستنتج من تلك الرسوم الباقية أن بعض بني أيوب في الشأم وهم معروفون بمثل هذه الألقاب تملك النسخة ثم وقفهـــا ، وحينئذٍ فالقول الأرجح أنها صارت وقفاً في القرن السابع بعد الهجرة . ثم يُشترط في آخر الوقفية ألاّ يخرج الكتاب من المكتبة ولا يعار ولا يوهب ولا يباع ، وإنما أبيح النظر فيه ومطالعته للفقهاء والخاصة من العلماء . ثم يفهم مما هو مكتوب على الصفحة الأخيرة من الكتاب أنه كان في ذلك الزمان مستكرهاً مستقبحاً غير مستحبّ نشره ، وهذا نصه وهو مكتوب بخط قديم :

« الحمد لله العظيم العظيم .

طالع في هذا الكتاب محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم بن الصُّمَيْدي وهو قائل : إنه ينبغي اجتناب هذا الكتاب » .

« الحمد لله رب العالمين .

وقف على هذا الكتاب ونظر فيه وطالع بعضه الفقير المحتاج إلى رحمة الله تعالى وعفوه محمد بن أحمد بن محمد بن الصُّمَيْدي الشافعي فوجد فيه الاعتناء بكلام المعتزلة والذبّ عنهم والأجوبة عن كلامهم فظهر له من ذلك أن مؤلفه معتزلي فينبغي ألاّ يطالع وأن يجتنب » .

(١) لعل المراد هو « الظاهرية » .

« الحمد لله رب العالمين .

يقول كاتبه محمد بن أحمد بن الصميدي الشافعي القرشي : إنه يشهد أن لا إله إلاّ الله ، ويشهد أن محمداً رسول الله وأن كل ما اعتقده أهل السنة والجماعـــة فهو معتقده أيضاً والحمد لله ، كتبه محمد بن أحمد بن الصميدي الشافعي » .

ثم تكرر اسمه مرتين ثم كتب : « الحمد لله عليه توكلت » . وليس عندي خبر عن كاتب هذا من هو ، وعلى كل حال فلم يرد ذكره في طبقات الشافعية لابن السبكي .

هذا ما أمر به الصميدي في شأن كتابنا في ذلك الزمان ، لكن ليس كل أمر بمطاع ولا كل نهي بمعتبر . فلم يبق الكتاب في محله المحظور وخرج من معدنه المستور ووقع في أيدي الناس ، فتملكه واحد من أعيان علماء الشأم في القرن العـــاشر وهو محمد طولون الحنفي ، فكتب في الصفحة الأولى : « من كتب محمد طولون الحنفي لطف الله تعالى به » . وبحثت عن هذا العالم فسألت عنه العالم العلامة قدوة العارفين والباحثين صاحب السعادة أحمد تيمور باشا — أطال الله بقاءه وأمتعنا بعلومه وشرفه — فنبهني على ترجمته في كتاب تضم مكتبته النفيسة مجمع الشرق والغرب نسخة منه وهو كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العـــاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزّي العامري ، يجيء في تلك الترجمة أن محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي الصالحي ولد سنة ٨٨٠ هـ تقريباً وتوفي في دمشق سنة ٩٥٣ هـ وله مصنفات متعدّدة ، رأيت بعضها بخطه في مكتبة سعادة الباشا المذكور فظهر لي بالمقارنة أن الخط الذي كتب به على نسختنـــا هذه أنها ملك محمد طولون هو خطه بعينه . وآخر من نعلم أن الكتاب كان في ملكه هو الشيخ العالم العلامة طاهر الجزائري — رحمه الله تعالى — الذي توفي في دمشق سنة ١٩٢٠م ، حدثني بذلك سعادة الباشا وحدثني أيضاً أن ذلك الشيخ الفاضل قد طلب من أصحاب المطابع بل كرر طلبة منهم أن يعتنوا بطبع هذا الكتاب العظيم قدره ولم يقع ذلك عندهم موقع الرضا والقبول ؛ ولا يخفى على الناظر في مقالته في المعتزلة التي رواها عنـــه ونشرها محمد كرد عليّ في كتابه «القديم والحديث» (ص ١٤٨ — ١٥٦ من الطبعة المصرية سنة ١٩٢٥) أن الشيخ طاهر الجزائري استنبط من كتابنا حقائق تاريخية لم يسبقه إليها باحث ممن بحث عن أحوال المعتزلة ، وناهيك من كتاب استفاد منه مثل هذا الشيخ واستصوب

نشره ! ولم تبق النسخة تحت يده طول عمره وإنما اشترتهـا دار الكتب المصرية في شهر يوليه سنة ١٩١٠ م كما هو مسجل في دفاتر تلك الدار ، فإلى هنا انتهت رحلتها وهنـا وضعت عصاها واستقرّ بها المقام ، وهي تحفظ الآن تحت رقم ٨٥٢ من فن التوحيد، وقد عرضت في المعرض آية للزائرين .

ولم يصل الى معرفتنا أنه توجد نسخة أخرى من هذا الكتاب في الشرق أو في الغرب ، بل ليس ذلك من المتوقّع نظراً إلى ما قد ذكرناه من الاستكراه له والمنع عن الاشتغال به.

بقي علينا شيء وهو اسم الكتاب ؛ فإنه مكتوب بخط كبير في الصفحة الأولى ثم حاول بعضهم أن يمحوه أو يغيره فخدش بعض حروفه حتى صار غير واضح ، ثم كمله واحد من المتأخرين بقلم رصاص حتى يكون ظاهره « الأكتاف » وهذا لا معنى له . وما بقي من الخط الأصلي يحتمل أن يكون عبارة عن «الاكفاء» ، غـير أننا قطعنا بكلمة «الانتصار» مستندين إلى ما ورد في كتاب ابن المرتضى من النص على اسم هذا الكتاب ، وليس في الخطوط الباقية في الأصل ما ينافي مثل هذا الإصلاح .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ حكاية ابن الروندي وذكر بعض كتبه

..... * وعلى آله الطيبين اللهم انا نستعينك على جهاد الاعداء والرد على السفهاء ونسألك كلمة العدل في الغضب والرضا . قد قرأت — أسعدك الله بطاعته ووفقك لاتباع مرضاته — كتاب الماجن السفيه وفهمت ما ذكره فيه فرأيته كتاب إنسان حنق على أهل الدين شديد الغيظ على المسلمين يحكي عنهم ما ليس من قولهم (ويرميهم) بما ليس من مذهبهم ، جرأة منه على الكذب والبهتان وتهاونا منه بركوب الإثم والعدوان ورأيته مع ذلك معتدياً لطوره متجاوزاً لقدره واضعاً لنفسه في غير موضعها . ذكر المعتزلة فشتمهم ونبّههم بما ليس فيهم وأوهم جُهّال الرافضة وحشو أهل الإمامة أنه من نظراء المعتزلة وأكفائها وأنه عالم بمذاهبها وأقاويلها . فأما أهل النظر وأصحاب الكلام فقد علموا جميعاً انه ليس بنظير للمعتزلة ولا كفؤ ** لهم وأنه كان زماناً تابعاً من أتباعهم وحدثاً من أحداثهم يختلف الى مجالسهم ويتعلم من أشياخهم الى أن ألحد في دينه وجحد خالقه ونفته المعتزلة عنها وباعدته من مجالسها ، فحمله الغيظ الذي دخله والوحشة التي صار اليها على أن فضح نفسه بأن وضع عليها كتاباً كذب عليها فيه ونحلها ما ليس من قولها وعاب بعضها بمذاهب هو يقول ببعضها بل يقول بها ويذهب اليها . ولكن كيف يتعجب من شتم صاحب الكتاب المعتزلة والكذب عليها ورميها بما ليس من قولها وقد ألف عدة كتب في تثبيت الالحاد وإبطال التوحيد وجحد الرسالة وشتم النبيين عليهم السلام والأئمة الهادين، وهي كتب مشهورة معروفة . فمنها : كتاب يعرف «بكتاب التاج» أبطل فيه حدث(١) الأجسام ونفاه وزعم أنه ليس في الأثر دلالة على مؤثر ولا في الفعل

* مخروم في الاصل .
** في الأصل : كفواً .

صميم قلبي على هذه الخدمة لي ولقرّاء الكتاب ، وأودّ لو أذن لي أن أشكره بذكر اسمه لكنه استكره ذلك غاية الاستكراه . وكل ما استفدت تصحيحه منه أشرت إليه بحرف (ص) .

الدكتور نيبرج

القاهرة ١٩ يونيو ١٩٢٥ م

ملحوظة :

١ — التعليقات والاستدراكات المذكورة في آخر الكتاب هي للدكتور نيبرج . وقد رقمناها ارقاماً متسلسلة . كما اننا رقمنا ايضاً المسائل المبحوثة في هذا الكتاب مع ذكر عنوان كل مسألة معتمدين على فهرس الكتاب حسب تبويب الدكتور نيبرج .

٢ — في مقدمته لكتاب الأنتصار يعرض الدكتور نيبرج ترجمة ابي الحسين الخياط مؤلف الكتاب وترجمة ابن الروندي مع ذكر اسماء مؤلفاته ومحاولة تحديد تاريخ ولادته وتاريخ وفاته ؛ ثم يبين فائدة كتاب الانتصار في دراسة العقائد الدينية في الاسلام ثم يعرض اصول المعتزلة الخمسة . وقد اكتفينا بنشر هذا القسم من المقدمة مترجماً بالفرنسية.

٣ — ونقدم جزيل شكرنا للدكتور نيبرج وللجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة لموافقتها على ضم الأصل العربي لكتاب « الانتصار» الى ترجمتنا الفرنسية هذه .

البير نادر

دلالة على فاعل وأن العالم بما فيه و..... ..." وقره وجميع نجومه قديم لم يزل لا صانع له ولا مدبر ولا محدث له ولاخالق ، وأن من ثبّت للعالم خالقاً قديماً ليس كمثله شيء فقد أحال وناقض. ومنها: كتاب يعرف « **بكتاب التعديل والتجوير** » زعم فيه أنه من أمرض عبيده وأسقمهم فليس بحكيم فيما فعل بهم ولا ناظر لهم ولا رحيم بهم ، كذلك من افقرهم وابتلاهم ، وأنه ليس بحكيم من أمر بطاعته مَنْ يعلم أنه لا يطيعه ، وأنه من خلّد مَنْ كفر به وعصاه في النار طول الأبد سفيه ** غير حكيم ولا عالم بمقادير العقاب على الذنوب . ومنها: كتاب يعرف « **بكتاب الزمرذ** » ذكر فيه آيات الانبياء عليهم السلام كآيات إ براهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم فطعن فيها وزعم أنها مخاريق ، وان الذين جاءوا بها سحرة فمحرفون[٢] وان القرآن من كلام غير حكيم وان فيه تناقضاً وخطأ وكلاماً يستحيل؛ وجعل فيه باباً ترجمه «**على المحمدية خاصة**» يريد أمة محمد صلى الله عليه . ومنها: كتاب يعرف « **بكتاب الامامة** » يطعن فيه على المهاجرين والأنصار ، ويزعم ان النبي صلى الله عليه استخلف عليهم رجلا بعينه واسمه ونسبه وأمرهم ان يقدموه ولا يتقدموا عليه وان يطيعوه ولا يعصوه فأجمعوا جميعاً إ لا نفراً يسيراً خمسة أو ستة على ان أزالوا ذلك الرجل عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وأقاموا غيره ، استخفافاً منهم بأمر رسول الله عليه السلام وتعمداً منهم لمعصيته . فمن كان هذا قوله في رب العالمين وفي الأنبياء والمرسلين وفي سلف الأئمة الصالحين المرضيين كيف يُتعجب من شتمه المعتزلة وكذبه عليها وقد كذب على الله تعالى وعلى أنبيائه المرسلين وعلى أصحابه الطاهرين . وانا بعون الله ذاكر ما في كتابه وناقضُه عليه حرفاً حرفاً ومبين كذبه على العلماء وتحريفه لأقاويلهم وبالله أستعين .

٢ ابتداء كتاب ابن الروندي وابتداء الرد عليه . مذهب المعتزلة ومذهب الرافضة على الاجمال

إبتدأ كتابه فقال: أما بعد فاني وجدت كثيراً من المعتزلة يستطيلون على جملة الشيعة ويتسلقون على إ بطال حقهم لوصف مقالات لغلاتهم ليست من التشيع الذي بانوا به

---

* مخروم ومطموس في الأصل .
** في الأصل : سفيها .